بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فما له من هاد. ونصلي ونسلم على محمد عبد الله ورسوله الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ورضي الله عن تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد..

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ لنا لما رجع من الأحزاب:«لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة»، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضُهم: لا نُصلِّي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يُرَدْ منّا ذلك، فذكر للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم.

قال الحافظ ابن حجر:"قال السهيلي وغيره: في الحديث من الفقه إنه لا يعاب على من أخذ بظاهر حديث أو آية، ولا على من استنبط من النص معنى يخصصه". ثم قال:"وقد استدل به الجمهور على عدم تأثيم من اجتهد لأنه ﷺ لم يعنف أحداً من الطائفتين، فلو كان هناك إثم لعنف من أثم"(١).

هكذا آثرت أن أبدأ الكلام في هذه القضية المهمة ذات الأبعاد الاجتماعية الخطيرة؛ إذ عدم احترام قول المخالف لي في رأي فقهي

(١) فتح الباري ٥٠٦/٧. والحديث متفق عليه من حديث ابن عمر، أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب: مرجع النبيﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرتهم إياهم.

مختلف فيه يؤدي ولابد إلى تقطيع صلات الأخوة الإسلامية. ولم يكن أبداً عدم الخلاف الفقهي محوراً رئيساً لتوحد الأمة - كما يُدَّعى - وليس هناك بدٌ من وجوده كما عُلِمَ ذلك منذ حياة الصحابة ومن بعدهم إلى يوم الناس هذا.

فالمسلمون منذ فجر تاريخهم كان بينهم الخلاف الفقهي كما هو بيننا تماماً، وقد فتحوا الدنيا وبلَّغوا دعوة الله، ولم يعلِّقوا ما نزل بهم من نكبات في بعض الظروف على الخلاف الفقهي الذي كان موجوداً آنذاك [1].

وهذا هو **السبب الأول الذي دعاني لخدمة هذا الكتاب** وبعثه حياً من جديد يجدد عهداً بصاحبه ذي العقل المستنير. حيث إن التخلق بأخلاق السلف التي علمهم إياها رسولنا الرحيم ﷺ من احترام كل منهم قول الآخر، والحفاظ على الأخوة، وخفض جناح بعضهم لبعض هي خير منطلق ننطلق منه لتوحد هذه الأمة. وهذا ما أبرزه الإمام المراغي.

أما السبب الثاني: وهو منطلق آخر لوحدة هذه الأمة، هو أن حياة المسلمين ليست مقطوعة الجذور، ولا مجهولة الأصول حتى ننتظر توهم حلول غربية.

ومن حكمة الله تعالى في شريعته - التي جعلها خاتمة الشرائع السماوية وللناس كافة إلى أن تقوم الساعة - أن أودع فيها عوامل المرونة والسعة ما وسعت به مصالح الناس على اختلاف أجناسهم وألسنتهم وألوانهم، وما صارت به صالحة للحكم بها في كل زمان ومكان وبيئة ومجتمع، فكان بها تمام نعمة الله على خلقه:{ٱلۡيَوۡمَ

(١) ولو كان هناك خلاف أدى إلى تناحر، فالسبب في ذلك ليس الخلاف ذاته، ولكن هو عدم اتساع الصدور وسلامة الطوايا لقبوله.

أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا } [المائدة: ٣].

وهذا ما يعالجه ويوضحه هذا الكتاب، إذ أخذ الإمام المراغي في بيان وإبراز ما قلناه هنا، حيث أوضح أنه إذا أريد أن يُسن من أقوال فقهاء الإسلام قانون عام أمكن ذلك على حالٍ أكمل من كل قانون في الأرض صنعه البشر ويكون مع ذلك قابلاً للتطور إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها؛ لأن الإسلام لم يضع للاجتهاد حداً ولم يعين له أهلاً، بل تركه لكل من استكمل عدته.

والسببان المذكوران يرجعان إلى الكتاب وأما السبب الذي يرجع إلى المؤلف نفسه، فيتلخص في الآتي:

١ - مباشرة الإمام المراغي للقضاء، ومعرفته لأحوال الناس مما أكسبه خبرة في هذا المجال وفي سن القوانين التي تنطق بالشريعة وروحها، يذكرنا بأبي يوسف رحمه الله لما باشر القضاء مدة طويلة واختلفت بعض فتاواه عن أبي حنيفة مؤسس المذهب، نظر إليه أصحاب المذهب نظرة أخرى، واختاروا أقواله في المواطن التي احتاجوا فيها إلى هذه الخبرة القضائية، ورجحوا أنها المذهب - وإن كانت ليست لأبي حنيفة [(١)].

٢ - فكره الإصلاحي الذي دعا إليه دائماً، والذي كم نحتاجه اليوم - وسيأتي نبذة عن هذا في ترجمة الإمام - فالإمام المراغي يتحدث منذ أكثر من سبعين سنة وكأنه موجود في حياتنا اليوم، فرضي الله عن علمائنا أجمعين.

وأخيراً.. علينا بتقوى الله في ديننا وعلمائنا وأفراد مجتمعنا، ولنراعي الخلاف ونتخلق بخلق الأسلاف، ونحرص على إبراز

(١) يقول العلامة ابن عابدين: " وفي قضاء الأشباه والنظائر: الفتوى على قول أبي يوسف فيما يتعلق بالقضاء " (حاشية رد المحتار ٧٦/١).

محاسن الشريعة ومكارمها ونعمل على تفعيل مقاصدها، وليسعنا ما وسع المنصفين المحققين من علماء الأمة قبلنا لنكون على أثر الفقهاء الفاهمين الداعين بفضل الله إلى رحمته التي وسعت كل شئ.

أما خطة عملي في هذا الكتاب، فكانت كالتالي:

- قدمت له بمقدمة، وذكرت فيها أهمية هذا الكتاب، وسبب اختياري لإبرازه من جديد.

- ثم صنعت قسماً، وهو القسم الأول، عَرَّفت فيه بالإمام والكتاب.

- وقسماً آخر، وهو القسم الثاني، وهو نص الكتاب، وتفصيلهما كالتالي:

القسم الأول: التعريف بالإمام وكتابه. واشتمل على مبحثين

المبحث الأول: ترجمة الإمام المراغي. واشتمل على النقاط التالية:

أولاً - اسمه ومولده

ثانيا - نشأته ودراسته

ثالثاً - عمله وتوليه المناصب

رابعاً - قضية الإصلاح والتجديد في فكر الإمام المراغي

خامساً - من مواقفه المشرفة

سادساً - من محنه

سابعاً - من مؤلفاته

المبحث الثاني: ترجمة كتابه، واشتمل على النقاط التالية:

أولاً - اسم الكتاب ونسبته إلى المؤلف

ثانياً - سبب تأليف الكتاب

ثالثاً - خطة الكتاب

رابعاً - ملامح من منهجه في الكتاب

القسم الثاني: نص الكتاب، ويتلخص عملي فيه في النقاط التالية:

١ - ذكرت كلمة (الفصل: الأول)... إلخ، قبل عنوان الموضوع؛ لأن المؤلف جعل موضوعات الكتاب فصولاً، إلا أنه لم ينص على ذلك قبل العنوان، لكن هذا المستفاد من نص كلامه، حيث قال:"وسيعلم في فصل تغير الأحكام..."وقال - في تغير الأحكام - :"... وهذا فصل عظيم النفع..."وقال في الاجتهاد في المذهب:"كان من حق هذا الفصل...".

٢ - حاولت تخريج النصوص التي نقلها الإمام المراغي عن غيره من أصولها المطبوعة. والإشارة إلى مكان وجودها فيها مع إثبات الفروق بين ما جاء في هذا الكتاب وبين ما ورد في إصولها إن وجد. كما صححت الأخطاء المطبعية التي لا تناسب السياق ونبهت عليها.

٣ - خرجت الآيات التي ساقها الإمام، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية في الهامش وليس بجوار الآية.

٤ - خرجت الأحاديث والآثار وكانت طريقتي فيها: إما أن أعزو الأحاديث إلى مصادرها. وإما أن أكتفي بعزوها إلى كتب التخريج، كنصب الراية والتلخيص الحبير.

٥ - تناول المؤلف موضوعات ومسائل ولم يعرِّف الكثير منها، فقمت بتعريفها والتعليق على بعضها - إن تطلب الأمر ذلك في وجهة نظري - تتميماً للفائدة.

٦ - علقت - قدر استطاعتي - على بعض العبارات أو المسائل أو القضايا التي أوردها الإمام المراغي - والتي رأيت أنها تحتاج إلى

ذلك - بما يزيل غموضها ويوضح المراد بها، محاولاً بذلك مزيداً من إيضاح وجهة نظر الإمام، وإن اقتضى الأمر مناقشة ناقشته بصورة موجزة لم يكن قصدي فيها المقارنة.

هذا.. وإن كنت قد ناقشت بعض المسائل التي ساقها الإمام المراغي، وأوضحت مرجوحيتها - كمسألة بيع الوفاء - فهذا لا يعكر على الإمام استدلاله بها؛ لأنه يسوقها مستدلاً بها على كيفية اجتهاد العلماء انطلاقاً من فهمهم العميق للشرع الإسلامي وتفعيلهم إياه في الأمة بمجتمعاتها العامة أو الخاصة.

٧ - قمت بعمل ترجمة للأعلام المذكورين في الكتاب - لا المذكورين في الهامش - ولم أترجم للمشهورين لدى جميع الناس كالخلفاء الأربعة والأئمة الأربعة.

وأعجبتني طريقة فضيلة د/عبد المجيد تركي في تحقيقه مثل كتاب"إحكام الفصول للإمام الباجي"، و"شرح اللمع للإمام الشيرازي"حيث إنني - وكما صنع هو -: لم أترجم لهم في الهامش - كما هو المعهود - بل وضعت لهم جزءاً مستقلاً تحت عنوان"فهرس التعليقات على الأعلام"فترجمت لهم هناك، وكان أيضاً بمثابة فهرس لهم؛ لأنه حسب الفهرسة الألف بائية.

ولم أترجم لبعض الأعلام بنفسي، بل استفدت من مجهودات لأعمال علمية سابقة كتحقيق كتاب"شرح الكوكب المنير"الذي حققاه فضيلة د/محمد الزحيلي، و د/نزيه حماد.

وتيسيراً على القارئ أردفت كل ترجمة بالإحالة إلى المصادر التي أحالا إليها ونبهت على طبعاتها عقب فهرس التراجم مباشرة.

وأيضاً موسوعة"أعلام الفكر الإسلامي"للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية المصري، وسائر الأعلام التي لم أعثر عليها في هذين

المصدرين ترجمت لهم بنفسي.

هـــــذا.. مــع ملاحظــة أنــي لــم أعتبــر فــي الترتيــب الأبجدي"أبو"و"ابن"و"أل"

٨ - وتيسيراً على القارئ أيضاً لعملية الاستفادة من الكتاب، قمت بعمل فهارس للكتاب، شملت الآتي:

أولاً: فهرست للآيات حسب ترتيب السور وأرقام الآيات.

ثانياً: فهرست للأحاديث الشريفة حسب الأحرف الهجائية.

ثالثاً: فهرست للتعليقات على الأعلام - وقد أشرت إليه.

رابعاً: فهرست المصادر والمراجع.

خامساً: فهرست محتويات الكتاب.

ملاحظة: لم أضع خاتمة تشتمل على النتائج التي وصل إليها الإمام المراغي في هذا البحث؛ لأن الإمام أعقب كل فصل بأهم النتائج التي وصل إليها فيه.

محمــد حامــد الغضبــان
ت/ ٠١٢٠٥٥٨٤٧٨
مصر – بورسعيد
غــرة رجــب ١٤٣١هـ
١٣ يونيه ٢٠١٠م

* * *

obeikandl.com